

أساطير تغذي ثقافة العنف في إسرائيل

كتاب لبناني يبحث في كيفية تحول الميثولوجيا إلى أيديولوجيا في المجتمع الإسرائيلي

بيروت: فاتن الحاج

ام ان الامر لا يعدو كونه إعادة انتاج لاسرائيل بجوهرها الذي نشأت عليه خلال عملية جراحية تم فيها تفكيك النموذج الصهيوني الاستيطاني التقليدي مما يسمح باقامة نموذج مراوغ يتيح إقامة «مستوطنات فكرية وثقافية» من خلال التطبيع، وكل ذلك ليس حبا في الكف عن التوسع على الأرض وإنما بسبب وعي اسرائيل التام بعجزها عن استكمال مشروع نهب الأراضي باسلوبها السابق فبادرت الى غزوها بشكل آخر»

إذا، ان المواجهة بين اسرائيل والعرب ستكون في المستقبل مواجهة بين ثقافتين وذهنيتين متناقضتين، وصراعاً بين «حركة قومية دينية عنصرية من خصوصياتها ادعاء التفوق والاستعلاء وعدم الاعتراف بالآخر وذهنية عربية نقیضة قائمة على ثقافة التنوع والعيش المشترك والتفاعل الحضاري والانفتاح الانساني». وبالتالي فالصراع، كما يذهب المؤلف، مستمر حتى لو أعلن الصلح بين الحكومات، لا رغبة في الحرب من جانب الطرفين بل نتيجة طبيعية لرؤيتين متباينتين الى حد يجعل تخلي اسرائيل عن مشروعها التاريخي فعل انتحار وتنازل عن الكيان وجوهر الذات.

والكتاب مزود بشهادات حية عن تجارب المعتقلين والاسرى في السجون الاسرائيلية الذين تعرضوا ويتعرضون لأشنع انواع التعذيب والتنكيل باعتراف مؤسسات رسمية اسرائيلية ودولية عدة، وكذلك بجدال تتضمن نماذج منتقاة من المذابح واعمال الابادة الصهيونية (مخار ونوع الجريمة، نوع السلاح المستعمل، التاريخ، عدد الشهداء والجرحى، الجهة التي اعلنت المسؤولية)، اضافة الى جداول عن نماذج منتقاة من سجل الاغتيالات التي قامت بها الاجهزة الصهيونية بين 1948 و1986 (الاسم، الجنسية، طريقة الاغتيال، مكان الاغتيال وتاريخه، ملاحظات)، وعن نماذج من عمليات القتل والتدمير التي ادت الى اخراج الفلسطينيين من وطنهم وديارهم وهي منتقاة من العمليات التي وقعت بين 1947/5/20 و1948/3/31.



غلاف الكتاب

ثقافة «العنف» في سوسيولوجيا السياسة الصهيونية»

المؤلف: الدكتور عبد الغني عماد

ذلك بسبب وجوده في منطقة يتعرض فيها امن جيش الدفاع الاسرائيلي للخطر.

ثم ينتقل المؤلف للحديث عن مسار تطور «الترانسفير» بين سياسات حزب العمل وتبشيرات الاصولية الدينية التي أصبحت افكارها، كما يقول، اقرب ما تكون الى الفكر السياسي، والمثال الأوضح لذلك هو دعوة رئيس حاخامات اسرائيل السابق عوفاديا يوسف الى قصف العرب والفلسطينيين خلال انتفاضة الأقصى في نيسان 2001.

ويبحث الكتاب في الإشكالية الوجودية التي أخذت تتبلور، بشكل أوضح بعد الانتفاضة الفلسطينية الثانية، وتجلت في الظاهرة الفكرية التي باتت تسمى ما بعد الصهيونية، وهي احدى اشكال التعبير المتنوعة عن المازق الذي يعكس التحولات التي أخذت تهرز المجتمع الاسرائيلي. ويتساءل المؤلف هنا: «هل تكون المرحلة المقبلة مرحلة إعادة نظر في الايديولوجيا الصهيونية بما يفتح المجال لمرحلة ما بعد الصهيونية،

يحاول الدكتور عبد الغني عماد، الأستاذ في معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية، في كتابه «ثقافة العنف في سوسيولوجيا السياسة الصهيونية» ان يفكك نموذج وثقافة كيان قام على منطق القوة والعنصرية والاستيطان، ففقد قدرته على «التحول الى دولة متوازنة وعلى التوقف عن انتاج العنف بحكم طبيعته وتكوينه». ان الفعل الارهابي، كما نقرأ في الكتاب، هو وجه آخر من وجوه العنف، لا يستهدف الضحية في ذاتها بل النظام والجماعة التي تنتمي اليها وهذا ما يفعله رئيس وزراء اسرائيل أرييل شارون والمؤسسة العسكرية في مواجهة الانتفاضة الفلسطينية من خلال اغتيال الكوادر الناشطة وسياسة الحصار والعزل والعقوبات الجماعية التي تمارس ضد الفلسطينيين.

ويعد ان يحلل المؤلف بنية الاساطير التوراتية والتلمودية، يبين كيف تتحول الميثولوجيا الى ايديولوجيا والاقتصوصة الرمزية والتراث الشعبي الشفوي الى بناء سياسي وخطاب استنهاض قومي، الأمر الذي يفسر لنا اعتبار غولدشتاين ومناحيم بيغن وارييل شارون ابطالا قوميين استنادا الى النص التلمودي.

واللافت ان هذا التوجه العنصري يشكل جزءاً لا يتجزأ في مناهج المدارس الاسرائيلية حيث يستشهد المؤلف بدراسة ميدانية قام بها البروفيسور الاسرائيلي جورج تامارين تبرر مدى تأثير تدريس التوراة على نمو اتجاهات التعصب في اذهان اليهود الشباب.

وهذه التنشئة، كما يذهب المؤلف، نمت المشاعر النرجسية عند الفرد والمجموعة، وشكلت، عموما نمطاً سلوكياً لدى الاسرائيلي ضعفت معه المشاعر الغيرية، والاحساس بالالم الذي يلحق بالضحايا، بل يلقي المسؤولية على عاتق الضحية نفسها فيصبح بذلك الطفل محمد الدرة الذي قتل في حضان أبيه امام عدسات كاميرات التلفزيون مسؤولاً دون سواه عن